

## مناجاة البلايين المهربة

يحدثنا بعض من أهل الخبرة ونجوم الإعلام عن البلايين المهربة في الخارج ، وتكرر الحديث حتى صح لنا أن نميل إلى تصديقه . . أموال فلكية الأرقام ، وتعتبر من ناحية الوطن ضائعة ، وأصحابها يعيشون بيننا غرباء ، قلوبهم وآمالهم هائمة في الخارج ، ولدى أول بادرة تذرهم بما يسوء يرحلون إلى الأبد ، وكأنهم ماكانوا .

وجزء من تلك الأموال يستطيع أن يصنع المعجزات في انتشال الوطن من مأزقه ، والانطلاق بالتنمية الشاملة إلى آفاقها المنشودة ، وطبعًا لا جدوى هنا من استعمال لغة الضمير أو الوطنية ، كما يبدو أن يد القانون لا تطوهم ، ولكن ألا يمكن تجربة لغة المصلحة المتبادلة ؟ بمعنى - مثلاً - أن نقترح عليهم أن يستوردوا احتياجاتنا الضرورية للحياة ، والتنمية ببعض ما لهم ، ويكون لهم المال وأرباحه ، ليستثمروه بعد ذلك في الخطة الموضوعية ، مع الانتفاع بكافة التسهيلات والامتيازات الممنوحة ، بالإضافة إلى الإقرار بفضلهم فيما يقدمون من خدمات ، وذلك يعني أننا أنقذنا بعض المال الضائع واستخدمناه في خير وجهه ، كما يعني أننا أرجعنا أناسًا ضائعين إلى حظيرة الوطن ، بل إلى أعز مكان فيه .

إنَّ مَنْ يتحدثون عن الأموال المهربة يتحدثون عنها بثقة مَنْ يعرف

أصحابها فردًا فردًا ، فلماذا لا نفاوضهم وندعوهم إلى المشاركة الوطنية ، وبخاصة أننا لا نُحملهم أى تضحية ، بل على العكس ، نهيبهم لهم فرصة لمضاعفة الأرباح والانتفاء الوطنى ؟ إنها فكرة إنسان أرهقه التفكير فى حال الوطن ومصيره ، وعسى ألا تكون فكرة خيالية .

١٩٨٨ / ١ / ١٤

## خريطة الشباب

الشباب الذى يبشر بخلق أمة ناهضة يتَّسم بمواصفات أساسية لا غنى عنها . إنه يؤمن بهدف كبير فى العصر الذى يعيش فيه ، وبالتالى يتطلع إلى دور شخصى يناسبه فى نطاق ذلك الهدف ، ويكتسب من هذا وذاك انتفاءً صادقاً ، وضميراً اجتماعياً يقظاً ، وعزيمة وأملاً وإصراراً يستعين بها فى شق طريقه فى أطوار التعليم والعمل ، فكيف نرى خريطة شبابنا على ضوء تلك المواصفات ؟

يوجد ولاشك شباب يعرفون لذواتهم أهدافاً شخصية تحوم حول الوظائف الممتازة والمهن الرفيعة ، ولا يحول بينهم وبينها حائل ، وهم أبناء الصفوة القادرة ، وإن خالطت حياتهم سلبيات فهى سلبيات المال والفراغ ، ونادراً ما تتجاوز اهتماماتهم الذات وما يدور حولها ، وتمضى حياتهم بلا سدود أو إحيابات اجتماعية .

ويوجد آخرون - ولعلمهم الكثرة - يتخبطون فى طُرقات غاصّة بالأشواك، تعليمهم ناقص ، وأبواب العمل فى وجوههم ضيقة عسيرة ، ومرتبات العامل منهم غير كافية وعاجزة عن إشباع احتياجاتهم الأساسية من المأوى والزواج وتحقيق الذات ، وهم يعيشون فى وجوم وسوء ظن ، بلا انتفاء أو مشاركة فى الحياة العامة ، ولو بالقلب ، رافضين لما حولهم ، حاملين بالهجرة ، فى ظل تهديد دائم بالانحراف .

وهناك شباب يعرف لنفسه هدفاً ، ويتمتع بالانتماء والإيجابية والإيمان ، فيه تتجلى المواصفات الأساسية للشباب الناهض ، ولكن من المؤسف أن يخالط فكره تطرف يشذ به عن القصد ، وقد يتبادى بعض منه في تطرفه فيتخطى القانون ويسفك الدماء .

ولذلك تلح المصلحة العليا على بذل المستحيل لإرجاع هذه الفئة إلى حظيرة القانون والشورى والموعظة الحسنة ، ليُدخلوها - بكل ما يحظون به من إيمان وإيجابية وانتماء - إلى هدفٍ أسمى ، فيكون حجر الأساس لبناء نهضة ، وسيبج دفاع للأمة حيال التدهور والفساد .

ونحن لنا دينٌ يقدس العلم والعمل ، وحقوق الإنسان والوطن . وتوفيقنا في ذلك خليق بأن ينقذ الفئة الأولى من أنانيتها ، كما يخرج الثانية من حيرتها ، والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل .

١٩٨٨ / ٢ / ١١

## نحو تضامن قومي

أمتنا العريقة العزيزة تخوض أيام شدة ، ما في ذلك من شك . وعلى رغم الجهد المبذول ، وبشائر التقدم التي تومض هنا وهناك ، فإن قبضة الأزمة الخانقة تشدد حول الرقاب في أهم ضرورات الحياة ، كالغذاء والدواء والمسكن والعمل ، بالإضافة إلى ما يحمله المستقبل من نُدُرٍ خطيرة عن ماء الحياة ونورها .

جميع هذه الظروف تدعو إلى التضامن القومي في ظل نظامنا الديمقراطي ، وما تُنادى به من سيادة القانون ، وإن يكن التضامن واجباً في أوقات الحرب ، فما نعانى كل يوم ، وما يُطل علينا من الغد ، مثل الحرب أو أشد . ولا يخفى على أحدٍ ما لهذا التضامن من فوائد ، فهو يوسع دائرة الاختيار لانتخاب الرجل المناسب في المكان المناسب ، وهو ييسر لكل رأى بناء بلوغ الأذان والقلوب بدون جرح أو مرارة ، وهو يضمنى على الحوار صدقاً وإخلاصاً ، وينقيه من شوائب الذاتية وعدم المسؤولية . وهو أخيراً يشجع على اتخاذ القرارات الصعبة بدون خوف من عواقب مصطنعة ، فضلاً عن أنه يُنزلنا المنزلة اللائقة بالرجال الصادقين في المواقف الحاسمة .

وكخطوة تمهيدية لذلك يجب أن نبدأ بإلغاء قانون الأحزاب - وهو

أضعف الإيمان في مجال الإصلاح السياسي المرجو - احترامًا لحقوق الإنسان ، وإطلاقاً لحرية المواطنين في تكوين ما يشاءون من أحزاب . وما الإنكار القانوني لحزب قائم في الواقع إلا مهزلة اجتماعية ، فالقانون قد يعترض تدفق الواقع أو يجمده إلى حين ، ولكنه لا يلغيه .

كذلك فإن من العبث أن نفكر في تضامن قومي ونحن نتجاهل مواطنين لهم وزنهم الفكري والوطني ، كالجماعات الإسلامية ، والناصرين ، والماركسيين ، وغيرهم . وبصفة عامة إذا أردنا تضامناً قومياً فعلياً أن نفكر تفكيراً قومياً .

١٩٨٨ / ٣ / ٣١

## كرسى الاعتراف

المواطن الصالح غائب إلا فيما ندر ، لا أفرق في ذلك بين من ينتمون للشعب ومن ينتمون للسلطة ، فالناس في مجتمع واحد وزمن واحد وحادٍ وحادّة خاصة ، ولكنهم يشتركون في حضارة واحدة بصفة عامة ، فمن عيوبنا البارزة اليوم التي لا تخفى على أحد ، السلبية ، وضعف الانتماء ، والنفاق ، وذبول النزاهة .

الجمهور يتفرج ولا يبالي ، حتى حق الانتخاب لا يتجشم مشواره القصير ، ولا يكاد يهجم من وطنه إلا نفسه أو أسرته ، ويتخذ من النفاق وسيلة للسلامة وبلوغ المقاصد ، ويتناسى الإخلاص في العمل ، فالغش البسيط سلوكه اليومي ، ولا يتورع عن الغش المركب ، فيحاول استيراد أغذية ملوثة بالإشعاع ، أو يوزع أطعمة فاسدة ، أو يؤجر عمارة لا تلبث أن تنقض على ساكنيها .

وأيضاً للمتتمين إلى السلطة سلبيتهم ، فعادة لا ينضبون إلا حين وقوع الكارثة أو حضورها ، وهم ينافقون من فوقهم كما ينافقهم من تحتهم ، وقد يرتشون أو يقبضون العمولات ، أو يتاجرون بأقوات الشعب ، ويتحركون وكأنهم أسياد الشعب لا خدّ أمه وأجراؤه ، ويثبون فوق القانون وهم يتغنون بسيادته ، ويعدون خير الوطن من أرض ووظائف وقفاً عليهم وعلى أبنائهم وذويهم ومماليكهم .

صورة كئيبة ، ولكنها صادقة بصفة عامة ، ولن يغيرها قلة صادقة  
عاملة مجتهدة ، ولو أن ما حلَّ بنا هو من صميم طبيعتنا لو جب أن  
نفنى أو نتحر ، ولكنها حال من ظلّماتها منتصرة قوية قاهرة . فأنا  
أصف واقعاً بغيضاً ولا أدعو لليأس ، ولكن يحسن بنا أن نتذكر ما أطاح  
بنا إلى الهاوية ، وأن نتساءل عما يُخرجنا منها .

١٩٨٨ / ٤ / ١٤

## الإيدز السياسى

كيف تفشت الأخلاق الرديئة ؟ حسبى أن أركز على سببين جوهريين تعاونوا على غزو أمتنا الطيبة العريقة مثل داء الإيدز فأفقدناها أصول مناعتها ، وهما : نظام حكم قام على الاستبداد والقهر ، وأزمة اقتصادية خانقة تهز الاستقرار النفسى والأمان الاجتماعى ، ولن أطيل فى تفصيل آثارهما الوييلة ، فقد خبرناهما كما يخبر المريض الذى أُلصِقَ به أعراض المرض ، مثل ارتفاع الحرارة ، والغثيان ، والصداع ، والآلام المبرحة .

إنه حالٌ يُفرغُ المواطنَ من شجاعته وسروره بالحياة ، ويُحيطه بالخوف وسوء الظن ، ويدفعه إلى مُداهمة الحاكم ، بتقديم قرابين النفاق والكذب والخداع ، وانفصام الشخصية ، ثم يُسقطه فى الصمت والسلبية وعدم الانتماء ، والانحصار فى لقمة العيش ، مع الاستعداد للانحراف ، والإعراض عن التقاليد الكريمة ، وقد تثور الأعصاب فيقتل أو يغتصب ، وقد تُسدُّ المنافذ فيدمن المخدرات أو يتتحر .

أما الذين يمارسون الاستبداد فمع الزمن يتعالون ويستكبرون ، وتقسو قلوبهم فلا يتورعون عن التنكيل بالضحايا بالإيذاء والتعذيب ، هازئين بكل قيمة ، وفى مقدمتها حقوق الإنسان والإحوة الوطنية ، ثم يعميهم الجشع بالتهب والسلب والعدوان وتخطى العُرْفَ والتقاليد والقانون .

هذا ما فعله بنا الاستبداد والأزمة ، سلط بعضنا على بعض ، ثم سلطنا على أنفسنا .

ولا شك أن العلاج قد بدأ في الفترة الأخيرة بالتوجه النهائى نحو الديمقراطية ، والحث المتواصل على العمل والإنتاج ، والمحاولة الدائبة لاحتواء الأزمة .

ولكن لا مفر من خطوة جديدة حاسمة كى يكون لهذا الليل آخر .

١٩٨٨ / ٤ / ٢١

## حول التربية الدينية

تلقينا في طفولتنا وصبانا تربية دينية شاملة . درسنا الفرائض والأخلاق ، حفظنا ماتيسر من السور ، وألممنا بالسيرة النبوية وجانب من تاريخ الإسلام .

من المسلم به أن التربية الدينية يجب أن تشمل ذلك كله ، ولكن يجب أيضاً أن نضيف إليها بوعى وتركيز أغراضاً جديدة ، تُعَدُّ من ناحية من صميم روح العصر ، كما أنها مستمدة من مضمون الدين بلا تكلف من ناحية أخرى . من ذلك أن نربي الناشئة على حُب العلم والمعرفة وتبجيل العلم والعلماء ، وسنجد لتأييد ذلك مانشاء من سند في القرآن والحديث ، وأن نوجههم إلى تقديس العمل والإخلاص فيه ، والتفانى في تنفيذه لخير الفرد والجماعة ، وسوف يمدنا الدين بما نشاء من آيات وأحاديث وحكايات مؤثرة ، وأن نُشْرِبَ قلوبهم حب الحرية والديمقراطية ، وندريبهم عليها بالحوار والتزام العقل ، منطلقين من الشورى ومواقف مشهودة في تاريخ الرسول والخلفاء الراشدين ، وأن نملا قلوبهم بحب العدالة الاجتماعية ، انطلاقاً من مبدأ التضامن البشرى ، والمساواة ، وحكمة الزكاة . ولندكرهم دائماً وأبداً بتقديس حقوق الإنسان ومغزاها في التاريخ الإسلامى ، لنجعل من ذلك أساساً متيناً للوحدة الوطنية والإخوة البشرية .

إن الفرد الذى ينشأ على تقديس هذه المبادئ - تقديسه للتوحيد ،  
والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج - هُوَ فرد جدير بالحياة فى دنيانا ،  
مؤهل لذلك خير تأهيل بما تلقنه من قيم روحية ومادية ، جدير بأن  
يشارك فى العصر معتمداً على نخبة من روحانياته ، ومتطهراً فى الوقت  
نفسه من كثير من آفاته .

١٩٨٨ / ٥ / ٥

## صلاة الاستسقاء

في عام ١٩٨٦ تمت دراسة هامة شاملة في المجالس القومية المتخصصة لتناقص مياه النيل وعواقبها المتوقعة في الزراعة والطاقة .  
وصدرت توصيات بترشيد المياه والطاقة والسياسة الزراعية التي يجب أن تُتَّبَع .

والمجالس القومية تعمل منذ إنشائها في دأب مستمر ونشاط كريم ، مستندة إلى خبرة أعضائها وحماهم . وفي الفترة التي سمحت ظروفها الخاصة بشهود جلساتها كنتُ أستمع بارتياح إلى ما يبلغه لنا الدكتور محمد عبد القادر حاتم - المشرف العام على المجالس - عمَّا يُنفذ من توصيات المجالس ، مما يقطع بأن جهدها لا يضيع بلا ثمرة .

وأود أن أعتقد أن التوصيات الخاصة بالنيل قد لقيت ما تستحقه من عناية من جهة الاختصاص ، إن لم تكن قد سبقت إلى ذلك يقظة منها ، واستجابةً لواجبها .

ومن حديث وزير الري في الأهرام ندرك أنه توثب لمواجهة التحدي منذ وقت طويل ، مما يدعو للطمأنينة والثقة ، ولكن لُوَحِظَ أن المواجهة جرت في سرية ودون دعوة للجمهور للإحاطة والمشاركة ، باعتباره صاحب الشأن الأول فيما يكون . ولم يقف الأمر عند ذلك ، ولكن تجاوزه

إلى اتهام الأستاذ الكبير أحمد بهاء الدين بإثارة القلاقل عندما عاَلَنَ  
الناس لأول مرة بمعلوماته عن الموضوع .

ولاشك أن هذا أسلوب من العمل مما ورثناه عن العهد الشمولى ،  
ومما يجب أن نتحرر منه فى عهدنا الديمقراطى . وستثبت الأيام القادمة  
صدق الجهد الذى بذل ، أمّا فيما يخصنا كشعب فعلىنا أن نكون على  
مستوى المسئولية والتضامن ، وأن نقف فى وجه التحدى صفاً واحداً  
واعياً ، وأن نكون عند حُسن الظن بنا كلما دعا الداعى إلى ذلك .

١٩٨٨ / ٥ / ١٩

## الدين فى العصر الحديث

ثمة صحوة دينية شاملة لا يمكن إنكارها ، ولا يجوز تجاهلها ، وهى ليست مقصورة على الجماعات الدينية ، ولكنها تسرى فى روح الأمة جمعاء ، وإن تفاوتت درجاتها . وتلك حال يجب أن يتأملها المصلحون والمخططون للمستقبل بعناية فائقة ، وعليهم أن يعتبروها قوة متاحة وطاقة مدخرة تنتظر من يتعامل معها بحكمة ودراية ، ويوجهها الوجهة الصحيحة السليمة لبعث الأمة من رقادها ، والسمو بها إلى ذروة نهضة متينة الأساس ، قوية الأركان .

ومن نِعَمِ الله علينا أن ديننا دين دنيا كما أنه دين آخرة ، يدعو إلى تعمير الأرض ، ويقدم العلم ، ويعد العمل عبادة ، فضلا عن أنه رحمة للعالمين بها أعلن من حقوق للإنسان ، وما قرر من مساواة بين أهل الديانات . وما عصرنا إلا عصر العلم والعمل وحقوق الإنسان ، فمن الحكمة أن نجعل من الدين منطلق تربيته ونهضتنا ، وفى ذلك ما يضمن خلق إنسان صالح يملك من مقومات الوجود ما يقتضيه الوجود الإنسانى المستنير الشريف ، يزدهر تكوينه بالانتماء والإيجابية ، والاستقامة والاجتهاد ، وحب العلم والمعرفة ، وحب الإنسان .

ولا يفزعك ما تلقى أحيانا من شباب منحرف الفكر أو السلوك ، فلو أنه حُصِّنَ بالتربية السليمة التى لا ترعى إلا وجه الحق وحده بدون

خوف من إنسان أو تمثُّق لسُلطة ، لكان الأساس الراسخ لنهضة شاملة بإيمانه وإيجابيته وحماسه ، وقُدْرته على تحدى التحديات . . نحن نملك ثروة طائلة فلنستثمرها فى الخير ، ولا نكن كالوارثين الفاسدين الذين يبددون ثرواتهم فى الباطل .

١٩٨٨ / ٦ / ٩

## بين الدين والدنيا

كل حكومة هي حكومة دينية على نحو ما ، لا أعنى بذلك أن تكون السلطة بين رجال الدين ، أو بيد شخص يدعى لنفسه العصمة ، ، أو أنه ظلَّ الله على الأرض ، وغير ذلك من الأفتعة التي يتخفى تحتها الاستبداد ، ولكن من ناحية المضمون الأخلاقي الذي تلتزم به في معاملاتها وتشريعاتها . ذلك أن الدين من الناحية التاريخية هو المعلم الأخلاقي الأول للبشرية ، وأنه ما من حكومة إلاَّ وتلتزم في دستورها وقوانينها بالسائد من الأخلاق والتقاليد والقيم ، ولذلك يمكن أن نعدّها حكومة دينية من ناحية المضمون ، حتى إنَّ نَحَتِ الدِّينَ جانبًا أو نبذته نبذًا .

ومن هنا نجد في الدستور السوفيتي قيمًا دينية الأصل ، كالمساواة ، والعدالة ، كما نجد في عقوباتها ما يشبه الحدود أو ما هو أشد . أجل إنه عند التطبيق تحدث فجوة بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن ، وقد يستشري الفساد فتتسع الفجوة حتى تطمس الصفة الدينية أمام الأعين ، وخاصة أعين المتطلعين إلى المثل الأعلى ، فيشتد بهم الغضب ، ويكفِّرونَ الجميع - دولةً وشعبًا - ويتخطون في غضبهم المألوف والقانون ، وينادون بحكومة دينية كوسيلة للتطهير والتقدم .

والواقع أن الحكومة المنشودة قائمة بالفعل ، وإن توارى جوهرها تحت الأتربة المتراكمة ، وقد يعيدها إلى أصلها الإصلاح العميق الشامل الذى يعنى فى النهاية تضيق الفجوة أو سدها ، وإعادة النظر فى بعض الأمور، وتغيير بعض العناوين . وإذا نفذ ذلك بالحكمة والإدراك السليم وفهم روح الدين والاستجابة لمقتضيات العصر جاز لنا أن نأمل فى حياة جديدة فيها الخير كل الخير للناس أجمعين ، وعندنا من أهل الخبرة والاعتدال من يؤكدون ذلك ، وقد أعلنوا رأيهم مرارًا وتكرارًا ، وهو أن الفارق بين القوانين القائمة والأخرى التى يُطالب بها الآخرون قليل ، وأن الاجتهاد كفيل بالتوفيق بين الثوابت والمتغيرات . وإذا كان ذلك كذلك فلماذا نقف عند حد المناقشة ولا نتجاوزه إلى حيز التنفيذ ؟ . لماذا لا نخرج من جو القمامة والشك إلى نور النهار السافر المؤيد بالمصلحة العامة وحقوق الإنسان والوحدة الوطنية ؟

١٩٨٨ / ٦ / ١٦

## رجل الساعة

كيف يكون التفكير ؟ وكيف يكون السلوك ؟

إننا لا نفكر في فراغ ، ولا في رَغْد من العيش ، ولكن في غمار تحديات اقتصادية وسياسية وفكرية وكونية تجعل من حياتنا توترًا مستمرًا ، وخطرًا داهمًا ، وتطالبنا ببذل جميع ما نملك من حكمة وخبرة لنقرر مصيرنا نحو مستقبل حافل بكافة الاحتمالات . فعلينا جميعًا - شعبًا وأحزابًا ودولة - أن نستحضر الجو المحدق بنا كلما فكرنا أو عزمنا على إصدار قرار ، علينا أن نركز على المصلحة العامة ، وأن نتوخى السبيل إلى سلامة الوطن ، وأن نتجاوز عمًا تقتضيه منافسات الحياة المألوفة ، وما تثيره الخصومات المشروعة في الظروف العادية ، وما تغرى به المناورات الحزبية ، ففي زمن الخطر يجب أن يتغير التفكير والقرار ، وتتوجه النوايا نحو هدف واحد ، هو الخلاص ، مع كل ما يتطلبه من تضحية ونكران للذات . وهيهات - إن وقعت الواقعة - أن يهنا خصم باندحار خصمه ، أو يثمت مناضل بهزيمة غريمه .

قد تجد الحكومة نفسها في مركز القوة ، وترى أن تستأثر بكل شيء ، وأن تتهادى في الخصام والكبرياء .

وقد تجد المعارضة نفسها في مأزق ، فلا حرية في الحركة ، ولا ثمرة

لجهد ، ولا تداول في الحكم ، وأنها تصرخ في وادٍ ، وتمضى إلى طريق مسدود .

فهل تقابل العناد بالتطرف ، والكبرياء بالعداوة السافرة ، يجوز ذلك ، بل يجب في الظروف العادية ، أما اليوم فإن الموقف أكبر من ذلك وأشد . إنه موقف الحكمة والتضحية ، ولن يفوز فيه من ينكل بالخصم أو يوقعه في عواقب سَوَّاتِه ، ولن يظفر بالبطولة ذكياً أو مُناوِراً أو داهية ، ولكن الوطن والتاريخ ينتظران البطل الحكيم الفدائي المنكر للذات ، الذى يتقدم الصفوف مستهدفاً غاية وحيدة ، هى سلامة الوطن .

١٩٨٨ / ٧ / ٧